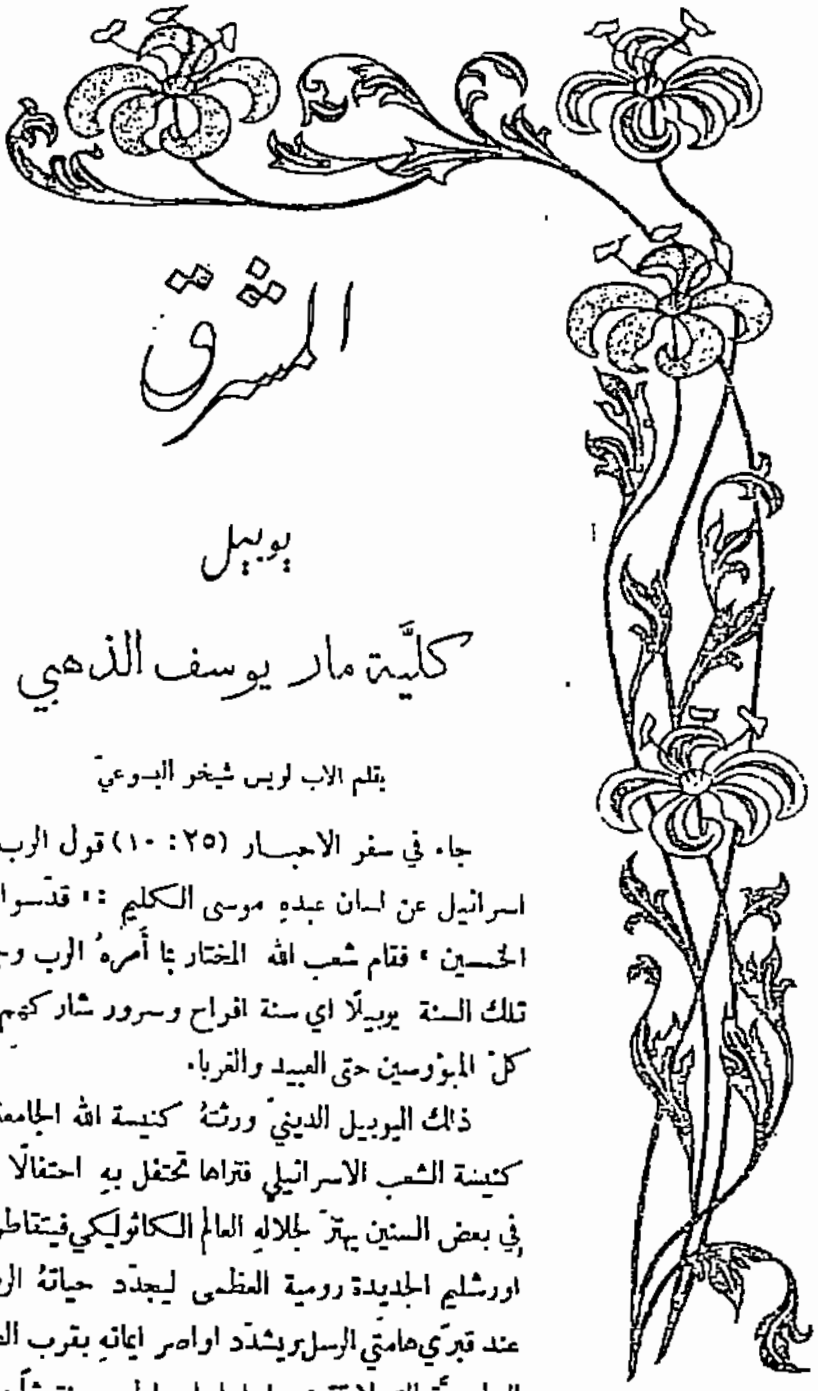

المشرق

يوبيل

كليّة مار يوسف الذهبي

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعيّ

جاء في سفر الاحبار (٢٥: ١٠) قول الرب لبني اسرائيل عن لسان عبده موسى الكليم : « قدّسوا سنة الخمسين ، فقام شعب الله المختار بما أمرهُ الرب وجعلوا تلك السنة يوبيلًا اي سنة افراح وسرور شاركهم فيها كلّ المبؤوسين حتى العبيد والغرباء.

ذلك اليوبيل الدينيّ ورثتهُ كنيسة الله الجامعة من كنيسة الشعب الاسرائيلي فتراها تحتفل بهِ احتفالًا رائعاً في بعض السنين يهتزّ لجلالهِ العالم الكاثوليكي فيتقاطر الى اورشليم الجديدة رومية العظمى ليجدّد حياتهُ الروحيّة عند قبريّ هامتي الرسل ويشدّد اواصر ايمانهِ بقرب الصخرة البطرسيّة التي لا تقوى عليها ابواب الجحيم منتشئاً ببركة

إمام الاحبار الذي لا يزال بطرس حيًّا في شخصه الكريم

*

وقد استعارت الشعوب والجماعات بل بعض الافراد من الذوات هذه العادة الحسنة ليذكروا في بعض الحقب من حياتهم الشعبية او الشخصيَّة ما اصابوهُ من النعم وازدان بهِ تاريخهم او ما باشروهُ لخير وطنهم وخلَّفوهُ من المآثر الطيّبة. فتنتعش الذكرى قواهم وتدفع بهم الى مضاعفة همَّتهم في خدمة وطنهم بالاعمال الشريفة

فما كان أحرى بكليَّتنا الجامعة أن تقف هنيهةً في سيرها بعد خمسين عاماً لتلقي نظرها على هذه الحقبة الطويلة فتذكر الحلبة التي جاهدت فيها جهاداً صالحاً ليس لمقاتلة الاعداء بل لمناهضة الجهل والضلال ولتهذيب الناشئة الوطنيَّة لتؤازرنا في خدمة بلادها وتعزيزها شؤون الهيأة الاجتماعيَّة التي تقوم على ركني الدين والعلم

ومن ثمَّ رأينا ان نخصِّص قسماً من عدد مجلَّتنا الحاضر لذكر كليَّتنا ليحيط بها علماً قرَّاؤنا الكرام فيشاركونا بالشكر لله عمَّا أنعم عليها في شوطها هذا ويرفعوا الى عزَّتهِ اكفَّ الدعاء لتبارك على خطاها في خدمة الدين والوطن بل يزيد روَّادها واساتذتها همَّةً في ما يسديهم الى عملهِ عزَّ وجلَّ وفي تحقيق آمال جمهور من مساعيهم الحسنة. وسنقسم هذه المقالة الى ابواب مختلفة شاملة ايرادها

١ تاريخ أبنية الكليَّة

سبقت كليَّتنا مدرسةَ غزير التي فُتحت اوَّلاً سنة ١٨٤٣ لتهذيب الاكليروس الشرقي من سائر الطوائف الكاثوليكية. وما لبث ان طاب الينا نزلاء الشام من الاوربيين ثم الاهلون من الوطنيين ان نلحق بتلك المدرسة قسماً لتهذيب اولادهم فتمَّ الامر نحو السنة ١٨٥٠. وكان عدد وافر من التلامذة الخارجيين من بلدة غزير ونواحيها يُقبلون على دروس تلك المدرسة التي اشتهرت في انحاء لبنان وجهات الشام ومصر ومنها خرج في مدَّة السنين الاثنتين والثلثين التي ثبتت فيها (١٨٤٣ — ١٨٧٥) عدد مذكور من رجال الدين والدنيا الذين شغلوا في الوطن وخارجاً عنهُ المناصب الشريفة بينهم البطاركة والاساقفة الاجلَّاء والكهنة والرهبان والقناصل وعمَّال الدول واعيان الوطنيين والاجانب ولم يزل يذكرها بالخير كل من تخرَّجوا فيها

على انَّ مدرسة غزير لوقوعها في الجبل بعيدًا عن مراكز الاشغال ولضيق ابنيتها ما كانت لتفي برغوب منشئيها لاسيما اذ رأوا انَّ الارساليَّة الاميركيَّة اخذت في بيروت تزداد نفوذًا وجاهًا بكليتها البروتستانيَّة التي كان يتردَّد اليها عددٌ من ابناء الكاثوليك فيمارسون رتبها الدينيَّة ويعدلون شيئًا فشيئًا عن دين آبائهم المستقيم الى الاضاليل البروتستانيَّة وحرِّيَّة الضمير. فكان ذلك الداعي الاكبر الى نقل مدرسة غزير الى بيروت بعد ان تحوَّل منشئها الاب امبروسيوس مونو مدَّة سنتين في انحاء اميركا يلقي المحاضرات عن الشرق ويجمع حسنات المحسنين للغاية المذكورة

كان ابتياع الاملاك التي في مكانها بُنيت الكلية عن يد رجل الهمَّة والنزاهة المرحوم درويش تيَّان وهي تبلغ مساحتها ١٧٫٠٠٠ متر كان معظمها مزروعًا بالتوت مع بعض الابنية الصغيرة اللاحقة بها وضمنها سبع آبار ماء شروب فهُدمت الابنية وبوشر بالعمل في اوائل تشرين الثاني من السنة ١٨٧٤ بعد ان أُقيمت حفلة حافلة دينيَّة لوضع الحجر الاوَّل حضرها ممثلا الكرسي الرسولي والدولة الفرنساويَّة. وكان الرؤساء استمدُّوا من الباب العالي بواسطة سفير فرنسة فرمانًا لمعهدهم الجديد الَّا انَّ احوال الاستانة في ذلك العهد لم تسمح بالحصول عليه فتمَّ العمل قبل الفوز به بحماية القنصل الفرنساوي الطيِّب الذكر المسيو روستان وتساهُل والِيَّ سوريَّة محمد حالت باشا واسعد باشا خلفه

وكان مهندس ابنية الكلية احد الآباء اليسوعيين الذي عُرف سابقًا ببراعته الفنِّيَّة وهو الاب فرنسيس كسناريوس پلّيو (Fr.-X. Pailloux) فتولَّى هذا العمل الكبير بنشاط غريب وانتهى منهُ باقلَّ من سنتين. واذ لم يبالغ بالحفر الى الصخر استعاض عنهُ بركائز قويَّة مجبولة بالملاط الفرنجي وجعل البناء على طول ١٠٣ امتار وعرض ١٨ مترًا وزانهُ بواجهة ذات تقاطيع وخطوط جميلة مع بساطتها كما يليق بمعهد رهباني والبناء على ثلث طبقات تنتهي الطبقة العليا بشُرُفات لطيفة على شبه القصور. ومَدَّ على جانبَيْه جناحَين في طول ٥٧ مترًا تتوسَّط الكنيسة بينهما على طول ٥٠ مترًا في عرض ٢٠م وعلوّ ١٧ م. وهي ثلثة اسواق على طراز شرقي جامع بين الطرازَين الغربي والبوزنطي يسندها ١٥٠ عمودًا من الرخام الوطني المجلوب اليها من مقطع دير القلعة الذي منهُ أُخذت عواميد هيكل جوپيتر البعلبكي في ذاك الجبل. وأُفردت

بين الابنية وفي مقدمة الكلية وفي المرتفع الذي وراءها سبع ساحات لراحة التلامذة وألعابهم الرياضية . ومع رحب هذه الابنية ما عتمت ان ضاقت على الطلبة الوافدين الى المدرسة . وكان طابقا جناحيها بقيا دون نجازهما فأتمهما الرؤساء سنة ١٨٨٢

وفي تلك الاثناء انتدبت الدولة الفرنسوية رسالتنا الى ادارة مكتب طبي فألحقت بالكلية بناية جديدة في جنوبيها خصت بالدروس الطبية فجهزت معاهد مختلفة لكل فروعها من طب وجراحة وصيدلة ومعالجة كهربائية

وبعد زمن قليل سنة ١٨٨٥ تبرع احد المحسنين بمبلغ من الدراهم تمكن رئيس المدرسة من اقتناء الاملاك الواقعة غربي المدرسة فبنيت فيها مدارس مجانية لتعليم اولاد العامة اللغتين العربية والافرنسية ومبادئ العلوم وأقيم فوقها معاهد دروس للكلية . وبني لمستودع ورق المطبعة ولاشغالها المختلفة بناء خاص كانت اليه في حاجة ماسة

ثم اتسعت دائرة اشغال المدرسة بنمو عدد الطلبة وانشاء فروع جديدة للتعليم وبحضور كهنة ودارسين من مدارس اوربة ليتفقهوا في آدابنا الى الدروس الشرقية . فلم ير ارباب الكلية بدا من تشييد معهد جديد ذي طابقين بني في مكان بقايا من ابنية قديمة كانت مستودعا لورق المطبعة ولتعليم الموسيقى

وفي السنة ١٩٠٥ بعد انشاء المكتب الشرقي اتسعت مكتبة الكلية وزاد عدد تآليفها زيادة لم تكن في الحسبان فعزم رئيسها الاب هنري غراسيان ان يفصل المكتبة الشرقية عن المكتبة الغربية فخص بهذه الاخيرة مناما واسعا كان للطلبة الاكليريكيين وابتنى لهم مناما جديدا فوق درسي التلامذة الداخليين خلف الكنيسة . فبقيت المكتبة القديمة كلها للمطبوعات الشرقية التي ألحق بها بعد خمس سنين ثلث غرف من الغرف التي بازائها

وفي العقد الثاني من القرن الحالي رأت عمدة الدروس الطبية ان البناية التي احتلتها سنة ١٨٨٢ أصبحت حرجة لا تفي بحاجات ذويها فعدا بهم الامر الى استدعاء كم محبي ترقي الشرق وصرف ذخيرة من مالهم الى اشتراء الاملاك الواقعة على ممر طريق الشام قريبا من مقبرتي الروم الكاثوليك والموارنة الجديدتين . ووكلوا الى حضرة الاب يوسف ماترن ان يتولى هندسة مدرسة طبية واسعة يقام لكل فرع منها

معهدهُ الخاصّ فوُضع حجرُها الاوّل في ٢١ تشرين الثاني برونق عظيم وحضور ارباب الامر من دولتي فرنسة وتركيّة ولجنتيها الفاحصتين وكان يرئس الحفلة الدينيّة نيافة القاصد الرسوليّ مع ممثلي كل الطوائف الكاثوليكيّة. ولم يكد يتمّ على هذه الحفلة سنة كاملة حتى دُشنت المدرسة بأبهة شبيهة بالعام السابق في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٣

وكان رؤساء المدرسة يريدون ان يلحقوا بها مستشفى كبيرًا استحضروا لهُ ملكاً واسعاً على مسافة نحو ميلٍ منها شرقيًّا فأتت الحرب الكونيّة فحالت دون المباشرة بهِ ووضع الاتراك الايدي على جميع موادّهِ

ولمّا وضعت الحرب اوزارها كان اوّل فكر الرؤساء أن يحقّقوا تلك النيّة الّا ان ضيق يدهم كان يحول دون رغبتهم لولا كرمُ فخامة الجنرال غورو المفوّض السامي على الانتداب الافرنسي الذي تبرّع بما بقي لديهِ من مالية الانتداب لهذه الغاية. فدُشّن هذا المستشفى في العام الماضي بعد ان قام بهندستهِ حضرة الاب ماترن مع رجال الفنّ فاستوفوا كل لوازمهِ وهذه السنة الثانية لتمشية اشغالهِ

وفي الزمن عينهِ أُقيم معهد آخر في دائرة مدرسة الطبّ أُلحق بها لطبابة الاسنان ولفنّ التوليد فنجز مع المستشفى. وقد خصّت اللجنة المقامة لإكرام باستور قسماً من المال الذي جمعتهُ تعزيزًا لمكتشفاتهِ لاقامة مستشفى خاص بمعالجة داء السرطان. وارباب المدرسة قد باشروا بهذا البناء في جوار المستشفى الكبير وسينجز قريباً ان شاء الله

امّا ابنية المعهد الطبي القديمة المجاورة للكلية جنوبيًّا فخُصّت بمدرسة الحقوق التي انشئت سنة ١٩١٢ ثمّ أُلحق بها مدرسة للفنون الهندسيّة مع مكتب اعدادي لكليها

امّا الكلية فرأت ايضاً منذ عامين حاجتها الى نادٍ واسع او مسرح مبنيّ على اصول النوادي العصريّة تُقام فيهِ الحفلات المدرسيّة وتمثّل فيهِ الروايات الادبيّة يحضرها جمهور من اهل المدينة. فما لبث ان خرج هذا الفكر الى عالم الوجود بهمّة رئيس كليّتنا حضرة الاب شانتور وحذاقة المهندس البارع فؤاد افندي خوري

واليوم يشتغل جناب المهندس ببناء آخر ذي ثلثة طوابق فوّض اليهِ حضرة

الرئيس تشييدهُ لحاجات المدرسة المستجدَّة من مدارس ودروس وقاعات اشغال مختلفة

٢ دروس الكلّيّة وامتيازاتها

لما تمَّ بناء كلية القديس يوسف البيروتيَّة في خريف السنة ١٨٧٥ انتقل طلبتُها من قرية غزير الى حاضرة بيروت فاستُئنفت الدروس. ولم تختلف في السنين الاولى عن دروس مدرسة غزير إلَّا انَّ المدرسة كانت نالت من فضل الكرسي الرسولي بوساطة رئيسها العام الاب امبروسيوس مونو اسم الكلّيّة الرسميّ. وهي اوَّل مدرسة نالت ذلك في الشرق. وكان شاع هذا الاسم قبلها عن الكلّيّة الاميركانيَّة التي كان اصحابها يدعونها «بالمدرسة السوريَّة البروتستانية» (The Syrian Protestant College) الى أيام الحرب فنالت الاسم رسميًّا بعد الحرب كما روت في مجلَّتها «الكلّيَّة» وسبق لنا ذكرهُ. واليوم قد اخذ الكتبة يفرقون بين اسمَي الكلّيَّة والجامعة وهو اصطلاح حديث

وكانت دروس كليتنا تشمل فضلًا عن دروس الآداب العربيَّة والافرنسيَّة واليونانيَّة والسريانيَّة والانكليزيَّة علوم الفلسفة والرياضيات والطبيعيَّات والكيميا. وكان طالب الكهنوت يتفرَّغ مدَّة ست سنوات الى درس الفلسفة واللاهوت النظري والادبي والحقّ القانوني وتفسير الاسفار المقدَّسة وعلم الليتورجيَّة مع درس لغاتهم الطقسيَّة

فرفع الاب ريمي نورمان خلفُ الاب مونو سنة ١٨٨١ عريضةً الى مقام الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يطلب من قداسته ان تمنح كلية بيروت طلبتَها الاكليريكيين شهادتي المأذونيَّة ثم الملفنة اي الدكتوريَّة في الفلسفة واللاهوت مع الامتيازات المتعلّقة بهما. فاجاب إمام الاحبار الى طلبته بعد ان تحقَّق اهليَّة المدرسة واساتذتها بذلك. فكان اوَّل من حظي بهذا الشرف احد افاضل الرهبان البلديين الطيب الذكر الاب مبارك سلامة المتيني فتسلَّم شهادة الملفنة في حفلة شائقة بحضور نيافة القاصد الرسولي ولفيف المعلمين والتلامذة سنة ١٨٨٣

وكذلك المكتب الفرنساوي الطبي بعد خروجه من قاطات الطفوليَّة في السنين

الاربع الاولى تنظّمت فيه الدروس وأُجريت الفحوص كالمعاهد الاوربيّة الكبرى فمنحت الدولة الفرنسويّة طلبتهُ شهادةً لم ترضَ بها الدولة العليّة الّا بعد امتحان شفاهي قدّموهُ في الاستانة مدّة عشر سنين (١٨٨٨–١٨٩٨) ثم اتّفقت الدولتان الفرنسويّة والتركيّة على ان ترسل كلتاهما لجنةً تشتركان بالفحص ومَنح الشهادة فجرى ذلك منذ السنة ١٨٩٩. وكانت دروس المكتب تترقّى شيئاً فشيئاً حتى جارت المكاتب الاوربية الراقية فصار تعليمها يجمع بين علم الابدان وتركيبها وعلم تركيب العظام وعلم قيام الحياة اي الفيسيولوجيا والطبابة الباطنة والجراحة وتركيب الادوية وعلوم النبات والحيوان والجراثيم المعدية وعلم الصحة والكيميا والطبيعيات والتوليد والصيدلة وعلم علاج الكلَب والكهربائيّة الطبيّة. وقد سبق لنا القول انّ لغة التدريس لسائر العلوم العصريّة انّما كانت الافرنسيّة لنقص اللغة العربية عن تأديتها

وكانت الكلية تمنح اوّلاً شهادةً من رؤسائها لدارسيها العلمانيين فالتمست من الدولة الفرنسويّة ان تمنح دارسيها العلوم الثانويّة المدرسيّة اجازةً كاجازة الباكولوريّة الفرنسويّة. ويجوز اليوم للطلبة ان ينالوا اجازة الكليّة او اجازة الدولة كما يشاؤون فيتمتّعون بانعاماتها

ومن الدروس العليا التي استجدّت منذ عهد حديث مدرسة الحقوق أُنشئت سنة ١٩١٣ بمساعي كليّة ليون التي أشركتها بامتيازاتها واخذت على نفسها تجهيزها بسائر لوازم التعليم حتى تجاري كل رصيفاتها الاوربية. على ان تدبير هذه المدرسة كتدبير المكتب الطبي تبقى ازمّتهُ في ايدي الآباء اليسوعيين. أمّا دروس الحقوق فتشتمل على درس الحق المدني والفقه الروماني وقوانين الاحكام والجزاء والتجارة والاقتصاد الدولي والفقه الاسلامي بالعربية

والحق بمدرسة الحقوق سنة ١٩١٩ مدرسة هندسيّة كانت دروسها محصورةً اوّلاً في صفّ واحد وهي اليوم ثلثة صفوف تتناول كل العلوم النظريّة والعمليّة التي يحتاج اليها المهندسون. وفي المدرسة معامل مجهّزة بكل الادوات المختصّة بالاعمال الهندسيّة. واذا نال الطلبة شهادة المدرسة لهم ان يتلقّنوا في مدرسة ليون المركزيّة معارف فنيّة اختصاصيّة. والمدرستان كلتاهما اي الحقوق والهندسة تدوم دروسهما ثلث سنين

فبهذه العلوم العليا الخمسة اي الفلسفة واللاهوت والطبّ والحقوق والهندسة امست كلّية القديس يوسف جامعةً كرصيفاتها الاجنبيّة. وممّا خُصّت به قبل الحرب مكتبٌ شرقيّ لتعليم اللغات الشرقيّة القديمة اي العربيّة والسريانية والعبرانية والحبشيّة والقبطية مع درس الآثار اليونانية والرومانية. وقد تخرّج فيها عدّة علماء يعلّمون اليوم اللغات الشرقيّة في جامعات اوربّة واميركة فاتت الحرب واضطرّتنا الى الغائه ريثما تلجئ الظروف الى استئنافه. وانّما منشورات المكتب لا تزال تظهر في اوقاتها وقد بلغت اليوم عشرة مجلّدات ضخمة

٣ فروع الكلّيّة

﴿المدرسة الاكليريكيّة﴾ هي الاصل الاوّل للكلّية اليسوعيّة. كان انشاؤها في غزير سنة ١٨٤٣ ضئيلاً سقيماً شأن اعمال الله الخطيرة. وها قد مرّ عليها ٨٢ عاماً فتكون سبقت كلّ المدارس الاكليريكية الناشأة بهمّة المرسلين في الشرق اعني قبل مدرسة الدمنيكان في الموصل والكبوشيين في الاستانة والآباء البولس القدس اشريف. وانّما خصّت مدرسة اكليريكيّة قديسة فحبّ اليسوعيّون في القرن الثامن عشر في لبنان في عينطورا أداروها نحو خمسين سنة قبل الغاء رهبانيّتهم سنة ١٧٧٣

وكانت الغاية التي دعت الاب مكسليان (منصور) ويلّو الى فتح مدرسة غزير الاكليريكيّة تهذيب اكليروس شرقيّ لكل الطوائف الشرقية يتشرّب المتخرّجون فيها روح الكثلكة الصميم مع احرازهم للعلوم الكهنوتية الراقية. وكان الآباء المتولّون لهذا العمل يعتبرونه كأخصّ واشرف مشروعاتهم في خدمة الكنائس الشرقية مؤمّلين من امتزاج ابناء الطوائف المختلفة ان يشملوا بمحبّتهم سائر اهل وطنهم ويسعوا في توحيد كلمتهم وتأليف قلوبهم وتوثيق عُرى ارتباطهم بالكرسي الرسوليّ

وقد أفرز للاكليريكيين معاهد منفردة ونظامٌ خاصّ يجرون عليه مدّة الاثنتي عشرة سنة التي يقضونها عادةً في المدرسة لا يخرجون بالطلبة سواهم الّا في المدارس. وفي زمن دروسهم يتدرّبون على سائر اعمال دعوتهم من مباشرة الرياضات التقويّة

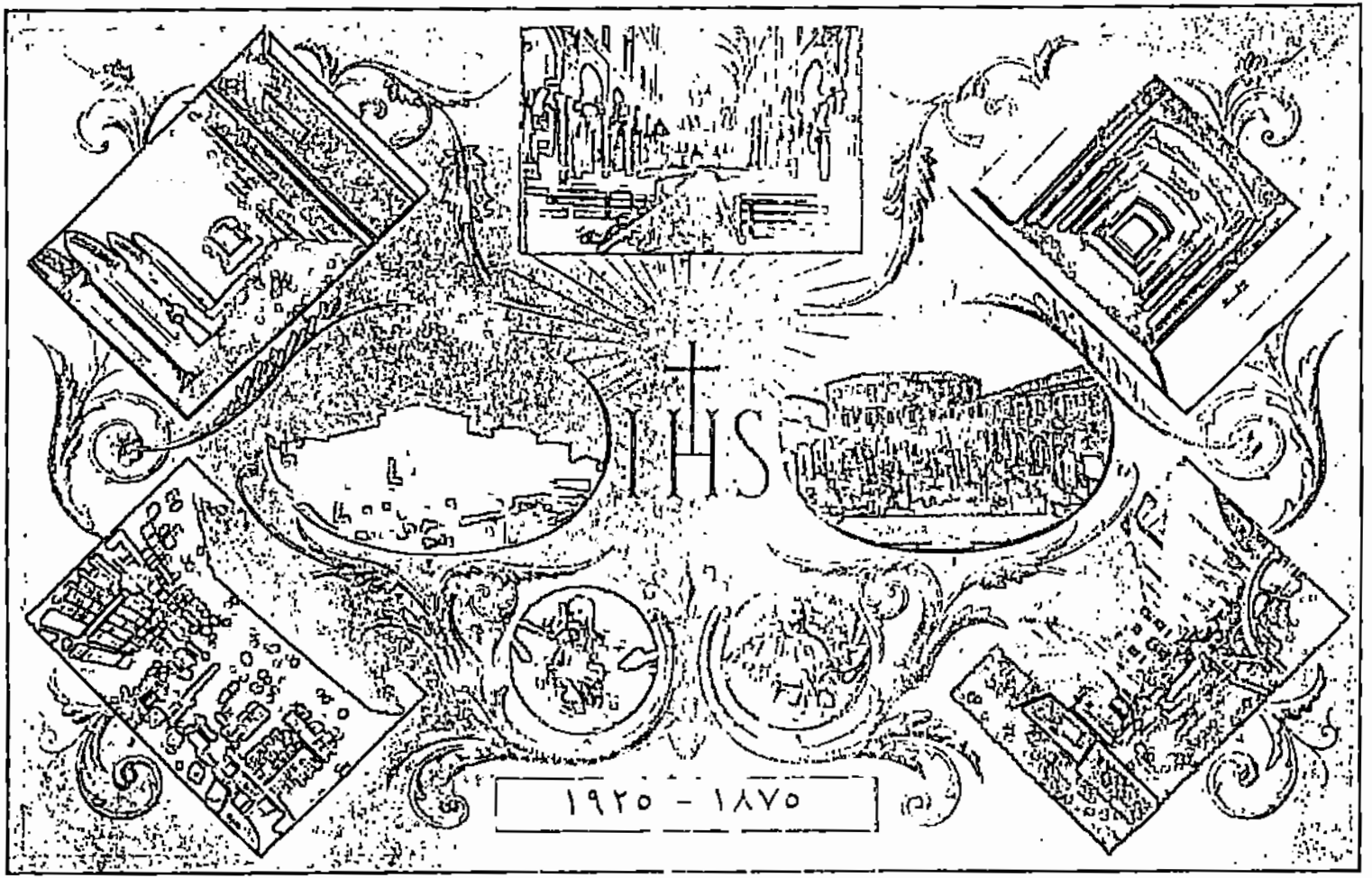

١ مكتبتنا الطبي ٢ مدرستنا الكليّة ٣ كنيسة كليتنا ٤ المشى الاول ٥ المشى الوسط ٦ المكتبة الشرقيّة ٧ المطبعة الكاثوليكيّة ٨ الاب مونو مشئ الكليّة ٩ الاب بالبر مهندسها

وعلم الوعظ وتعليم الصغار الواجبات المسيحية وخدمة الفقراء

ولما نُقلت المدرسة من غزير الى بيروت لازمَ الاكليريكيون فرانضهم الخصوصيّة تحت نظارة مرشدهم القائم بتهذيبهم وسائر امورهم . وقد انتهزت الرهبانيّتان المارونيّة اللبنانيّة والباسيليّة الشويريّة فرصة وجود مدرسة بيروت الاكليريكيّة ففتحت كلتاهما للشبان من رهبانهم ديرًا يأوون اليه ويقومون فيه بممارسة قوانينهم ويحضرون دروس الكلية مع الاكليريكيين

واليوم قد بلغ عدد الذين خرجوا من المدرسة الاكليريكية فتفرّغوا لخدمة طوائفهم نيّفاً واربعمائة اكليريكي بينهم ثلثة بطاركة و ٢٤ اسقفاً والباقون كهنة وقد توفي من مجموعهم نحو ١٣٠ اسقفاً او كاهناً

وقد مرَّ على المدرسة الاكليريكية ايّام عصيبة احتار الرؤساء في اعاشة طلبتها كما جرى في الحرب السبعينيّة بين فرنسة والمانيا (سنة ١٨٧٠—١٨٧١) وفي الحرب الكرنية الاخيرة مع التلامذة الذين تعذّر تسفيرهم الى اوطانهم

والمدرسة الاكليريكيّة منذ السنة ١٩٠١ نشرةٌ خصوصيّة ظهر منها اربعة عشر عدداً تُدوِّن فيها الاخبار المتوطة بالمدرسة وماثر تلامذتها الحاضرين والغائبين مع الرسائل التي يكتبها القدماء وتراجم المتوفّين منهم

ومما يُذكر لقدماء المتخرّجين في المدرسة فيُشكر وضعُهم لعدد عديد من التآليف الدينية والعلمية والادبيّة التي نشروها في مواطنهم فذكرناها في لائحة كتبة الكلية التي جدَّدنا طبعها مؤخرًا

﴿المدرسة الاعلية﴾ هذه المدرسة لتهذيب الناشئتين الوطنيّة والاجنبيّة كان اوّل انشائها في غزير سنة ١٨٥٥ فأفرد جانبٌ من ابنية ذلك الدير للداخليين منهم قسمٌ وقسمٌ آخر للخارجيين . فاقتضى وجودهم تشييد معاهد جديدة وتنمية عدد المعلّمين من آباء واساتذة علمانيين واصبحت ارسالياتنا السوريّة في عُهدة الآباء الفرنسويين بعد ان كان يرئسها الآباء الايطاليون فصارت اللغة الفرنسويّة لغة التدريس بدلًا من الايطالية فاتّسعت شهرة مدرسة غزير حتى في البلاد الاجنبية . وقد بلغ عدد الدارسين في اواخر سني المدرسة قبل انتقالها الى بيروت نيّفاً وثلثمائة طالب . وكان التلامذة يقبلون الى تلك المدرسة من كلّ انحاء سوريّة ومن فلسطين ومصر والاناضول . وكان الخارجيّون

يأتون من القرى المجاورة فيبيتون عند اهل غزير ويرجع بعضهم الى اهلهِ يوم السبت مساء الى صباح الاثنين

ثمَّ صار للمدرسة الاهلية المقام الاوَّل لمَّا نُقلت الى مدينة بيروت فكان عدد الداخليين في سنتها الاولى ٩٨ طالباً والخارجيين ١٦٨ وفي السنة الحاليـة بلغ عدد الداخليين ١٩٦ يضاف اليهم الاكليريكيون ٦٣ وعـدد الخارجيين ٤٨٠ فيكون مجموعهم ٧٣٩ طالباً بينهم ١٩٥ يدرسون الدروس التهذيبيَّة الراقية والباقون الدروس الثانويَّة العامَّة . امَّا من حيث اديانهم وطوائفهم فقسمهم الاكبر من الكاثوليك : الارمن (٢٧) الروم الكاثوليك (١٢١) السريان (١٦) الكلدان (٢٠) اللاتين (٦٧) الموارنة (٣١٧) مجموعهم ٥٦٨ . والقسم الآخر نصارى غير كاثوليـك : الارمن الغريغوريُّون (٣) البروتستانت (٤) الروس الارثدكس (١) الروم الارثذكس (١٣٠) مجموعهم ١٣٨ . ثمَّ غير النصارى : الدروز (٧) الموسويُّون (١) المسلمون (٢١) = ٢٩

والعناية الكبرى في هذه المدرسة مصروفة الى تهذيب طلبتها دينيًّا وادبيًّا . وانَّما تُترك الحريَّة التامَّة لغير النصارى في مذاهبهم الدينيَّة . امَّا الكاثوليك فانَّ الآباء لا يدَّخرون وسعهم في تأصيلهم بروح الدين والتقى ودَفعهم الى المواظبة على الاسرار المحيية ولهم الاخويَّات المريميَّة لمن امتاز بينهم بتديُّنهِ وحسن سلوكهِ

وللمدرسة الاهليَّة محافل ادبيَّة منها للغات الاوربيَّة ومنهـا للعربيَّة تُقسم الى محافل لغويَّة ومحافل بيانيَّة لها جلَساتها النظاميَّة وحفلاتها العمومية ومنها يُتَّخذ غالباً المشخَّصون للروايات التمثيلية في بعض مواسم العام التي يُدعى اليها وجوه البلد واهل التلامذة

ولا تُهمل المدرسة تلامذتها بعد انتهائهم من دروسهم فتدعوهم الى الجمعيَّات التقويَّة والخيريَّة . وتخصِّص للبعض غرفاً لدروس ليليَّة واجتماعات ادبيَّة يتباحثون فيها عن العلوم الادبيَّة والاجتماعيَّة ويلقون المحاضرات العلميَّة ولهـم هناك مكتبة غنيَّة بالكتب والمجلَّات التي يحتاجون اليها للتعمُّق في ابحاثهم

﴿ المكتب الطبي ﴾ كان انشاؤهُ سنة ١٨٨٣ باتفاق رئيس الرسالة اليسوعيـة مع ارباب الحكومة في فرنسة التي كان يرئسها وقتئذٍ لاون غامبتَّا ويرئس وزارتهـا جول فري . وتوسَّطَ في هذا الاتفاق قنصل فرنسة العـام في سوريا المسيو بتريونيو

ومعتمدها في تركية المسيو دي تورسي. فرضيت الجمهورية الفرنساوية بان تخصص لمعلمي المكتب وأشغالها في كل سنة ٩٦،٠٠٠ فرنك بشرط ان تكون في عهدة الآباء اليسوعيين يديرها احدهم بصفة كنشليار. فتُتح في تلك السنة وكان عدد معلميه اربعة وتلامذته احد عشر. ثمّ اتّسع نطاقهُ وشُفع بعلم الصيدلة سنة ١٨٨٩ ولم يزل يترقّى سنةً بعد سنة حتى بلغ عدد معلميه في سنة الحرب اثني عشر اربعة منهم يسوعيّون يضاف اليهم عشرة رؤساء اشغال في علاج المرضى وكان عدد الطلبة ٣٠٥ للطبّ و ٥٠ للصيدلة. وفي السنة ١٩١٣ انشئ مكتب لعلاج الكلب عُهد تدبيره الى احد الآباء حضرة الاب دي فراجيل

وبطلت المدرسة الطبيّة مدّة الحرب الكونيّة لكنّ الدولة التركيّة سنة ١٩١٦ نقلت اليها مدرستها الطبية الدمشقية وانتفعت بما وجدتهُ في مكتب بيروت من المعاهد والادوات وكان التعليم بأمرها باللغة التركية

ولما انتهت الحرب قبل دخول الدول المتحالفة فكّرت عمدة المدرّسين التركيّة في نقل اثمن الادوات والتجهيزات الطبيّة الى الاستانة فاودعتها الصناديق ونقلتها الى المحطّة فلم يسمح الوقت بتحقيق نيّاتها وعاد الآباء والمعلّمون بعد اشهر الى اشغالهم وتدبير دوائرهم المختلفة

ولمدرسة الطبّ المكاتب والمتاحف والمعاهد العلميّة الجليلة فانّ مكتبتها الطبيّة تحتوي نحو ٣٠،٠٠٠ من التآليف الطبيّة والمجاميع الطبيّة النادرة. ولها حديقة نباتية كبيرة جامعة لضروب النباتات الاهلية والغريبة ولاسيما الطبية(١ انشأها حضرة الاب اليسوعي لويس بولموا فبلّغها برعايته وعنائه الغاية في الرقي والحسن فتأخذ بمجامع ابصار الذين يزورونها

وفي المدرسة مجموعة ثمينة من حشائش سوريّة في ١٥٠ مجلّدًا أهدى قسماً منها المكتبَ الطبيَّ الحشائشيُّ المرحوم مسيو بلانش (M' Blanche) قنصل فرنسة سابقاً في اللاذقية

وفي هذا المكتب مجموعة من الظرّان المنحوت والمصقول الراقي الى عهد القبائل الاولى التي سكنت سواحل الشام جمعها الاب رينه داريب (P. R. Desribes) .

١) اطلب وصفها في المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٢٧٧-٢٧٨

ومثلها مجموعة أخرى في الكلية عُني بجمعها حضرة الاب زُموفن وبعض الرهبان

وفي المكتب عينه متحف يشتمل على عدّة آثار من المواليد الثلثة اي المعادن والنبات والحيوانات . وخصوصاً على أمثلة شتى من تشخيص الجسم البشري واعضائه وتصوير علله كالامراض الجلدّية وامراض العيون الخ

وفيه ايضاً معهد للادوات الكهربائية المناسبة للدروس الطبيّة يتولّى ادارتها حضرة الاب موريس كولنجت الاختصاصي

وقد كان عدد دارسي الطبّ في السنة الماضية ١١٧ تلميذاً منقسمين بين السنين الخمسة على حسب ترتيب دروسهم و٢٢ طالباً من طلبة الصيدلة . وبلغ عدد دارسي طبّ الاسنان للسنين الثلث ٤١ طالباً ودارسات فنّ التوليد ٩

امّا عدد الذين تخرّجوا في المكتب الطبي منذ انشائه فيبلغ ٧٦٠ طبيباً قانونيًا . يزاولون في انحاء الشرق بل في الشرق الاقصى ومنهم عدد عديد في اميركة وافريقية وحتى في جهات اوربة فيخدمون بجدّهم وعلمهم صوالح فرنسة وينشرون علومها ويشيدون بفضلها

وقد جاء تشييد المستشفى الجديد الذي وضع رسمهُ حضرة الاب ماترن منشطاً لكل اعمال الرحمة . ففي غرّة السنة ١٩٢٩ نُقل المرضى من مستشفى القديس جرجس الذي كان مستأجرًا لتمريضهم بعد الحرب الى المعاهد الخاصّة بهم فقامت بخدمتهم راهبات القديس يوسف بنشاط وتفانٍ عجيبين لا يأخذهما الملل ولا يضعفهما السأم

وهناك ايضاً مستوصف يتقاطر يوميًا اليهِ الاعلّاء من كل صوب ليستشيروا الاطبّاء الذين يتناوبون في فحص امراضهم ويوزّعون على الفقراء منهم الأدوية المجّانيّة

﴿مدرسة الحقوق﴾ أحرى بها ان يُشادَ مثلُها في بيروت لتخلف مدرسة الحقوق الرومانية السابقة التي أعلت منارها فذاع صيتُها في كلّ العالم من القرن الثاني للمسيح الى اواسط القرن السادس حيث ابادتها الزلازل المتتالية مع المدينة كلّها . فقامت المدرسة البيروتية الجديدة تحيي تلك الآثار الدارسة فكان الفضل في ذلك لغرفة التجارة القيمة في حاضرة لبنان ولاسيما لرجل الهمّة الفعّاء فقيد العلم والادب المسيو هرڤلين (Huvelin) الذي لم يألُ جهدًا حتى حقّق مرغوبهُ بإنشائها وكادت الحرب

الكرنية تطمس آثارها لولا ثبات ، وتسييها . فما كادت ان تولي مديرة حتى تنظمت وتحسنت . وها هي ذه اليوم يلقي الدروس الحقوقية فيها اربعة من علماء الحقوق القانونيين الفرنسويين يرئسهم مدير فرنساوي وكنشليار يسوعي يساعدهم استاذان وطنيان لتعليم الفقه الاسلامي وشرح الدستور الوطني . ولعلم الحقوق مقدمات يقوم بها احد الآباء اليسوعيين مع تعريف الفرائض والواجبات التي هي كأساس ذلك الفن . وتتولى لجنة خصوصية يعينها في فرنسة وزير الامور الخارجية تحت نظارة احد معلمي مدرسة ليون . أما عدد التلامذة فكان في السنة المدرسية ١٩٢١—١٩٢٢ نحو المئة . ثم بلغ في العام الماضي ١٣٦ طالباً . وقد اخذ البعض من الذين انهوا دروسهم في مكتبنا يشغلون المناصب القضائية المهمة . أما عدد الذين نالوا اجازة الأذونية فكانوا في السنة ١٩٢٠ ثلثة عشر ثم ١٧ في السنة ١٩٢١ ثم ١٩ ثم ٢٠ ثم ٢١ للعام الماضي

﴿مدرسة الهندسة﴾ يدرّس فيها ستّة معلمين اثنان منهم يسوعيان نالوا جميعاً اجازة الدولة الفرنسويّة الرسميّة . يساعد هؤلاء الستّة في تعليمهم ثلثة معلمين لبعض الدروس . وبعد انقضاء الاربع السنين يجري الطلبة امام لجنة يعينها المؤتمن السامي السورية ويختار رئيسها . أما عدد التلامذة فبلغ في السنة الاخيرة ٢٤ دارساً . وقد نال اجازة المدرسة ١٤ طالباً وكلهم قد تعينوا لادارة اشغال هندسيّة مهمّة في سورية ولبنان والبعض في فلسطين والسودان

﴿مرصد كسارا﴾ قد مرّ لنا في العام المنصرم (المشرق ٢٢ [١٩٢٤]: ٥٧٧—٥٨٦) وصف هذا المرصد فيكفينا حاضراً ان نقول انّ ذاك المعهد العلمي ظهر الى حيز الوجود في اواخر سنة ١٩٠٧ بهمّة مديره الحالي حضرة الاب بَرْلوتي الفلكي الشهير فهو الذي اختار له موقعهُ في منعطف التلال التي تنحدر من لبنان الى سهل البقاع على علوّ ٩٢٠ متراً فوق سطح البحر حيث يصفو اديم السماء في معظم فصول السنة

كان حضرة المدير في السنين السبع التي سبقت الحرب استنفد القوى في تشييد ابنية المرصد وتجهيزه بالآلات الرصديّة بعد تجشُّم الاسفار المتوالية الى اوربّة والاتعاب الشاقّة . وباشر مع البعض من اخوته الرهبان الارصاد الجوّية بمثابة المراصد المنظّمة فنشر لوائحها تترى فكان الامل معقوداً على قرب توسيع اعمال هذا المعهد العلميّ

الخطير فجاءت الحرب وتلاعبت ايدي الاتراك والجهلاء بمحتوياته . فلمّا عاد اليه مديرهُ سنة ١٩١٨ كاد ييأس من اصلاحه

على انّهُ شدَّد العزيمة واستأنف العمل تدريجاً وصبَّر النفس على الاسفار وقرع ابواب الجمعيّات العلمية لينال شيئاً من حسناتها فلم يخب أملهُ فساعدته اريحيّة الاكادمية الفرنسوية في اصلاح الخراب والتعويض عن الادوات الرصديَّة المفقودة فامكنهُ بعد ثلث سنين ان يُعيد المرصد الى حالته بل يوسّع دائرة اعماله ويزيده رقياً وكمالاً

والمرصد اليوم يشمل عدَّة ابنية مستقلَّة خُصَّ كلٌّ منها ببعض اعماله المنقسمة الى اربعة اقسام اعني رصد الظواهر الجوية والمغناطيسية والزلازلية والفلكية

فهناك بناء خاصّ ذو غُرف متعدّدة أُودعت فيها موازين ثقل الهواء (البارومتر) واقيسة رصد الرياح وادوات تدوين حركات الزلازل ومن جملتها غرفة واسعة للكتبة الفلكية وحجرة للشغل والدرس

وتمَّ استحضار البناء الخاص برصد الزلازل في تموز من السنة ١٩٢١ فلم تنتهِ السنة حتى بلغت عدد الزلازل المرصودة الى ١٠٤ بين كبيرة وصغيرة

وقد أُضيف الى المكان المختصّ برصد الظواهر الجوية مسافةٌ مكشوفة لميزان المطر ومستقٌّ لموازين الحرارة والرطوبة والتبخر

وقد أُفرد لرصد الفلك بناء آخر في اعلاه برجٌ مقبَّب بقبَّة دائرة على نفسها وتحت القبة نظّارة فلكية استوائية تبلغ فتحتها ٢٠ سنتمترًا . وفي اسفل البناء مختبرٌ كيموي وحجرة فوتغرافية وغرفة نُظّمت فيها المحرّكات المولّدة للكهرباء ومعمل ميكانيكي ومحلّ للنجارة

وللمغناطيس وادواته بناء ثالث حيث حُفر لها دهليزٌ منفرد عُزل عنهُ الحديد تماماً

وقد تعيَّنت حجرة صغيرة وضعت فيها السُّدُسات لضبط حركات السُّموت فتجتها ٥٥ ملمترًا . وبقربها الرقّاصات وآلات اقيسة الزمان وادوات التلغراف اللاسلكي . وهناك ايضاً قائمتان من الحجر المنبع لتحديد الاوضاع الجغرافية واحدى القائمتين قد جُهّزت لخدمة جيش الشرق لتدوين الاقيسة الارضيّة التي تولّى رصدها . وهذه النقطة

هي المركز الفلكي الذي تعيّن لبعثة الجيش المذكور في سورية

والقائمون بتدبير مرصد كسارا يدوّنون كل يوم ارصادهم ثلث مرّات كانوا ينشرونها في نشرة خاصّة أبطلت في وقت الحرب وقد استبدلوها بمجموعة سنويّة ظهر القسم من مجلّدها الاول

والمرصد يشارك بعثة جيش الشرق لتقرير النقط البدائيّة من خارطة أقيسة ارض سوريّة وقد قرّر معها قياس قاعدة ١٢،٥٠٠ متر بين برّ الياس ورياق. وكذلك أخذ على عهدته نشر اقيسة الظواهر الجويّة في سوريّة كما صدّقت عليه المفوّضيّة العليا. ويساعد المحطّات المعيّنة لتدوين تلك الظواهر بعناية الفرقة البحريّة في سوريّة

﴿خزائن كتب الكلية﴾ لكليّة القديس يوسف مكاتب مختلفة منها صغيرة ومنها كبيرة. (فالصغيرة) تألّفت لافادة التلامذة. فلكل قسم منهم مكتبتهم في قاعات دروسهم تنطبق على سنّهم وصفوف مدارسهم. معدّل كل مكتبة الف كتاب. يطالعونها في اوقات الفراغ والراحة. وللمدارس العربية ايضاً مكتبة عمومية تحت نظر مدير دروسهم تبلغ ٨٠٠ مجلّد. امّا الاكليريكيّون فلهم مكتبتان الواحدة عمومية واسع تنيف على الفي مجلّد والاخرى خاصّة بمدارسي الفلسفة واللاهوت حافلة بكتب نطاسي الفلاسفة واللاهوتيين. فيبلغ مجموع هذه المكاتب الصغرى نيّفاً وعشرين الف كتاب

واعظم منها شأناً المكاتب الكبيرة. فللطبّ كما سبق مكتبة تحتوي ٣٠،٠٠٠ مجلّد. ولمدرستي الحقوق والهندسة مكتبة حديثة العهد ضمّنها نحو ٥،٠٠٠ مجلّد. ولمعلّمي الكلية مكتبة مدرسيّة يبلغ عدد كتبها نيّفاً وعشرة آلاف مجلّد فيها ما يحتاجون اليه لدروسهم الشخصية ولتعليم صفوفهم

وللآباء في الكلية مكتبتان عظيمتان غربية وشرقية لكلّ منهما معهد خاصّ. فالغربية في غربيّ جنوبيّ طابق المدرسة الثاني يقدّر محتويات كتبها نحو ٣٠،٠٠٠. فيها مجاميع ثمينة كمجموع اعمال الآباء اليونان لمين (Migne) في ١٦١ مجلّدًا ضخماً واعمال الآباء اللاتين له في ٢٢١ مجلّدًا ومجموع تراجم القديسين للبولنديين في ٦٤ مجلّدًا كبيرًا ومجموع اعمال المجامع المسكونية والمحلّية لمانسي في ٥٠ مجلّدًا كبيرًا ومجموع اعمال لساطين اللاهوت كالقديسين توما الاكويني وبوناونتورا وعشرات غيرهم تبلغ

كتبهم الضخمة مئات من المجلدات وكذلك تآليف مفسّري الكتب المقدّسة وكبار المؤرخين. ولكل علم منشوراته القديمة والحديثة يستدل عليها بفهارس منظّمة وهناك عدّة دوائر علوم ومعاجم مختلفة. هذا فضلاً عن مجموع مجلّات افرنسية شهيرة كمجلّة العالمَين (Revue des Deux Mondes) ومجلة المراسل (le Correspondant) ومجلة الابحاث (les Etudes) ومجلّة التمدّن الكاثوليكي (Civiltà Cattolica) ومن كتب تلك المكتبة الخطيرة مجموع اعمال كتبة اليونان والرومان من الفلاسفة والمؤرخين والجغرافيين والادباء المطبوعة بمطبعة ديدو (F. Didot) الشهيرة

امّا الشرقية فهي اوسع مكاتب الكلية مادّةً واعظمها جدوى اذ تتناول جميع علوم الشرق وهي لا تقلّ عن ٣٥،٠٠٠ مجلّد باشرنا بجمعها منذ ٤٥ سنة. وقسمها الاكبر مختصّ بالمطبوعات والمخطوطات العربية فالمطبوعات نحو ١٥،٠٠٠ مجلّد مدارها على كل العلوم الدينية والمدنية والنصرانية والاسلامية المطبوعة في كل انحاء العالم شرقاً وغرباً. والمخطوطات عددها ٣،٢٠٠ بينها المصاحف والمخطوطات الملوّنة والمصوّرة والتآليف النادرة الفريدة في كل صنف من العلوم وبعضها مخطوط بقلم مؤلفيها او قريب من عهدهم ومن جملتها مخطوطات على الرقّ باليونانية والاسطرنجيلية ومنها بالكلدانية والسريانية والفارسية والتركية والحبشية والقبطية والارمنية. وقد نشرنا بالافرنسية ثلثة اقسام في ٢٠٨ صفحات وصفنا فيها ٣٣٦ مخطوطاً من الكتب التاريخية والجغرافية والرياضية والفلكية والطبيعية والكيموية والطبية. وعما قليل سيصدر وصف المخطوطات الكتابية والفلسفية. وقد أُفرد لكل هذه المخطوطات غرفةٌ أُلحقت بالمكتبة الكبرى

وفي المكتبة الشرقية معظم ما طُبع باللغة السريانية والكلدانية وفي الطقوس الشرقية. وفيها ايضاً مجموع كبير من المطبوعات الفارسية والتركية والعبرانية والارمنية والسنسكريتيّة والقبطيّة والحبشيّة وبعض الكتب الصينيّة واليابانيّة

ومن فرائد المكتبة مجموع اوصاف مخطوطات اوربة الشرقية كباريس ولندن وبرلين وڤينة ورومية وليدن وبطرسبورج واوكسفرد وكمبردج

وتمتاز المكتبة بكتب الآثار والفنون الجميلة الشرقية. منها المطبوعات عن آثار مصر وبابل واشور بالحروف الهيروغليفية والمسمارية وعن الآثار الفينيقية والحثّية

واليونانية واللاتينية مع المجاميع المختصة بها والمنشورات المصوَّرة التي اصدرها ارباب الحفريات والبعثات الدولية واسفار الرحالين القدماء والمحدثين الى انحاء الشرق

ومن مميزات المكتبة الشرقية مجموعة نحو ١٥٠ مجلة في كل ابواب العلوم الشرقية كالمجلات الاسيوية الفرنسوية والالمانية والانكليزية والاميريكية والايطالية ومجموعة المجلة الاثرية (Revue Archéologique) ومجموعة المجلات الفلسطينية الانكليزية والالمانية ومجلات الشرق المسيحي واصداء الشرق وغيرها كثير قد جُمعت في غرفة خصوصية لضيق المكتبة الشرقية الكبرى عن إحرازها

وكذلك هناك غرفة ثالثة لاحقة بالمكتبة الشرقية غنيَّة بالمطبوعات المتوطة بالاديان وبالاسفار المقدَّسة في اللغات الشرقية والغربية من جملتها مجموعة الكتب المقدَّسة في سبع لغات المطبوعة في لندن سنة ١٦٥٧ (Polyglotte de Walton) وصورة النسخة السريانية للكتب المقدَّسة المحفوظة في ميلانو ومطبوعات اخرى عديدة بينها (في المكتبة الشرقية) صورة المخطوطة الفاتيكانية للاسفار المقدَّسة (Codex Vaticanus) اثرية على اثرب نوع للجلاد

وللمكتبة الشرقية تسع دوائر للعلوم في لغات شتى: دائرتان للعلوم الكتابية واربع دوائر للعلوم الاثرية والتاريخية ودائرة للعلوم العصرية. ودائرة لمجموع العلوم اليهودية (the Jewish Encyclopedia) ودائرة للعلوم الاسلامية

امَّا تاريخ المكتبة الشرقية وجمع مؤلفاتها فيرتقي الى السنين الاولى من الكلية حيث جمعنا في غرفة شغلنا بعض المطبوعات الشرقية التي كانت سابقاً في مدرستنا الغزيرية مع عشرة مخطوطات الى خمسة عشر مخطوطاً متفرّقة في الكلية. ولم نزل مذ ذاك الحين نسعى في استحضار المطبوعات الوطنية والاجنبية امَّا بطريقة الشراء وامَّا بالمبادلة بمطبوعاتنا وقد تلطَّفت الحكومة الافرنسية فاهدتنا كثيراً من مجاميعها الثمينة الى ان ضاقت الغرفة عن ضمّها فنُقلت الى غرف اوسع مراراً ثمّ أفرد لها قسم من المكتبة الغربية حتى اضطرَّ الامر الى نقل المكتبة الغربية الى بناية جديدة واستقلَّت عنها المكتبة الشرقية كما هي اليوم

ولمَّا وقعت الحرب الكونية أصيبت مكاتبنا ببعض الاذى ولاسيما المكتبة الشرقية التي نقلت الحكومة التركية كثيراً من مطبوعاتها الى الاستانة . وكان قسم

من مخطوطاتها ومطبوعاتها مستودعاً لامانة بعض الأهلين فخيّب واحد منهم أملنا ونشر الخبر فوضعت الحكومة يدها على تلك الودائع ولم تَعُد الى مكانها إلّا بعد فقدان عدد عديد من تلك الكنوز وبينها ٥٢ من المخطوطات الثمينة

فهذا نظر اجمالي في مكاتب كلية القديس يوسف توهّل اصحابها للكتابة والخطابة في سائر المواضيع العلمية وهي لا تضنّ بهما على غير اصحابها من العلماء والباحثين اذا التمسوا ذلك من رؤساء المدرسة ولا يخلو يوم إلّا يأتينا بعضهم فيأخذهم العجب من غنى مكاتبنا التي يجدون فيها غالباً ما لم يحصلوا عليه في غيرها

﴿ المطبعة الكاثوليكية ﴾ هي ملحقة بكلية القديس يوسف وان تكن سبقتها باثنتين وعشرين سنة. فلمّا أُنشئت الكلّية نُقلت ايضاً المطبعة من مكانها في حيّ العيني وأُفرد لها بناء كبير جنوبي غربيّ الكلية. ومنذ ذاك الحين جارت الكلّيّة في رقيّها وتحسين أدواتها وسبك حروفها. فكان الفضل في ذلك لرئيس رسالتنا الطيب الذكر الاب امبروسيوس مونو ولفقيد الطباعة وقدوة العَمَلة الاخ ماري الياس اليسوعي المرتدّ عن الاسلام (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٤ [١٩٠١]: ٨٦٥–٨٧٢) .

وفي هذه السنين الخمسين الاخيرة صدر معظم مطبوعاتنا الجميلة كالكتاب المقدّس في ثلثة اجزاء وكالمعاجم المختلفة في العربية منها اقرب الموارد والمنجد وفي العربية والافرنسية والعربية والانكليزيّة والافرنسية والعربية الصغيرة والكبيرة وعدّة مطبوعات مدرسية منها في العربية كالقواعد الجلية ومجاني الادب وعلم الادب ومنها في اللغات الاوربية كالافرنسية واللاتينية والسريانية والقبطية والحبشية لافادة المستشرقين. ومنها تاريخية وادبية كمختصر تاريخ لبنان وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى وتواريخ ابن العبري وابن بطريق ومحبوب المنبجيّ وابن الراهب وتواريخ هلال الصابي وابن القلانسيّ وابن عُمر الكندي ومجمع البحرين ومقامات بديع الزمان ورسائله وروايات الاغاني. ومنها شعريّة كديوان الاخطل ونقائضه وكنظم امثال الميداني (فرائد اللآل) وكشعراء النصرانية ودواوين الخنساء والسموءل وسلامة بن جندل وابي العتاهية وعمرو بن كلثوم والحارث بن الحلزة ومراثي شواعر العرب والمفضّليات مع شرحها. ومنها لغويّة كفقه اللغة والالفاظ الكتابية وتهذيب الالفاظ

ومن هذه المطبعة صدرت جريدة البشير منذ السنة ١٨٦٩ ومجلة المشرق من السنة

١٨٩٨ ومجموعة المكتب الشرقي من السنة ١٩٠٦ ورسالة قلب يسوع من السنة ١٩٢٠ . وممن لم تنسَ فضلهُ ما نسيتَ ذلك المرسَل الغيور ورجلُ الله الاب يوحنا بلُو الذي ادار المطبعة سنين عديدة ونشر فيها كثيراً من التآليف المفيدة الدينيَّة والمدرسية (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٧ [١٩٠٤]: ١١٤-١١٥)

وكان في مدَّة الخمسين السنة نعم المساعدَين لترقية المطبعة وتحسين حروفها الاخ المرحوم انطون عبدالله اليسوعي (اطلب المشرق ٢١ [١٩٢٣]: ٧١٧و٧٩٧-٧٩٩) والمرحوم حنَّا علَّام

وساعد في تأليف مطبوعاتها وتصحيحها ما خلا الآباء المرحومون الشيخُ ابراهيم اليازجي والشيخ سعيد الشرتوني وشقيقهُ رشيد. وحرَّر غيرهم جريدة البشير تحت ادارة الآباء كالمرحومين جرجس زوين والخوري يوسف البستاني ورشيد الشرتوني

ولو اردنا ان نشمل بنظر واحد منشورات المطبعة الكاثوليكية لوجدنا أنها نشرت ٢٧ كتاباً في الاسفار المقدَّسة ومتعلقاتها و٢٢ كتاباً من الصلوات و٢٥ كتاباً في [illegible] و ١٩ كتاباً في عبادة قلب يسوع و ٢٣ كتاباً في العبادة للسيدة العذراء مريم و ٢٥ كتاباً في تراجم القديسين و ٤٥ كتاباً في تفنيد الاضاليل والدفاع عن العقائد الكاثوليكية و٣٤ كتاباً في الطقوس الشرقية والقوانين الرهبانية و ١٠ كتب في المواعظ و ٣٧ كتاباً في التاريخ والسِّيَر و ١٧ ديواناً شعريًّا و ٤٧ كتاباً في مبادئ القراءة. وتعليم العربية و ١٢ معجماً عربيًّا واعجميًّا و ٣٧ كتاباً في اللغويَّات و ٣٢ كتاباً لتعليم اللغة الافرنسية والايطالية والانكليزيَّة و ٣٥ كتاباً من الروايات و ٢٣ كتاباً في السريانية والكلدانية و ٢٧ كتاباً في اللغات اللاتينية والافرنسية والتركية والارمنية والقبطية والحبشية. و ١٠٥ كتب شتى . هذا فضلاً عن ٥٠ مجلَّداً من مجموعة البشير و ٢٣ مجلَّداً من المشرق و ٥ مجلَّدات من رسالة قلب يسوع و ٩ مجلَّدات من آثار المكتب الشرقي

فمن هذه اللائحة ترى صدق ما نظمهُ المرحوم المنسيور يوسف العلم في وصف المطبعة الكاثوليكية فقال في سنة يوبيلها سنة ١٩٠٣ :

أكرِمْ بمطبعةٍ قضتْ من عهدها خمسين عاماً بالمعارف زاهرهْ
واليومَ ذا يوبيلُها متقبَّلٌ منَّا التهاني من قلوبٍ شاكرهْ

كيف السبيل الى قضاء حقوقها ... فرض الثنا وحقوقها متشابهة
وعلومها وفنونها وصفوفها ... بصفوفها مثل البحار الزاخرة
وبريدها يبدو بطلعة مشرق ... وبشيرها تهوى النفوس بشائره
هيا بنا ندعو طوابعها التي ... منها تلقينا العوارف مباطره
فلنطبعن منا الثناء عداد ما ... طبعت صحائفها الحروف الوافره
قل انما طبعاتها بقلوبنا ... لا تمحى والنفس منا ذاكره
ان الديانة والعلوم واهلها ... تهدي الثناء لفضلها متفاخره
خير العوارف بالمعارف لا سوى ... هذي تدوم مع الدهور معاصره
قد يفقد المال العزيز وانما ... العلم الشريف له الحياة مضافره
ان المطابع للعلوم جداول ... تجري الى كل الورى متشاطره
لكنما خير المطابع ما غدت ... للدين والآداب عيناً ساهره
للعلم بالوحي الكريم علاقة ... ترعى جوانبها العيون الطاهره
ما كل من قال القصائد شاعر ... والحكم في هذا الأذن شاعره
يا أيها الرحمان ضن جمعية ... عقدت عرى الآمال بابن الناصره
باسم له دعيت تتيه تعززاً ... لاسم له تعلو الخلائق صاغره

٥ اعمال الكلية في الخارج

لم تحصر كلية القديس يوسف اعمالها ضمن مدرستها بل توّلت كثيراً من المشروعات الدينية والتهذيبية والخيرية كان لها تأثير عظيم في خير القريب وصالح العموم. فها نحن نذكر شيئاً من ذلك

١ المشروعات الدينية

من اخصها الاخويات التقوية التي يقوم بتدبيرها آباء الكلية وهي متعددة فنها ما هو للرجال ومنها ما هو للنساء.

﴿اخوية الحبل بلا دنس﴾ هي اخوية الرجال لذوي اليسار من اهل التجارة واصحاب الاملاك أُنشئت منذ السنة ١٨٤٩ فبلغت اليوم يوبيلها الماسي. فكان اوّل

مَنشاها في ١٥ نيسان من تلك السنة باتفاق ذوي الوجاهة المرحومين درويش غطوس تيّان وعبد الاحد خضرا واسكندر برتران والشيخ الياس مرعي الدحداح ورزق الله خضرا مع الاب هنريكوس دي برونيار (H. de Prunières) فاختاروا اكرام العذراء تحت سرّ الجبل بها البريّ من الدنس وذلك خمس سنين قبل تثبيت هذه العقيدة الكاثوليكية ونالت من مراحم رئيس الرهبانية اليسوعية العام في رومية الاشتراك مع الاخوية الرومانية الاصلية وأمّ باقي الاخويات منذ نحو اربعمائة سنة لتتمتّع بجميع انعاماتها واختصاصاتها وغفارينها

ومذ ذاك الحين لم يزل عدد المشتركين ينمو فيمارسون بكلّ نظام افعالهم التقويّة تحت نظارة احد آباء الكلية وكانوا كلّ سنة ينقطعون لرياضة روحية قبل احد الشعانين ويزورون مرّة احد معابد العذراء خارج البلد ويثابرون على اسرار الكنيسة ويسعون الى نشر السيرة الصالحة بين اهلهم ومعارفهم ويتولّون كثيرًا من اعمال الخير بين مواطنيهم وخصوصاً نحو الفقراء والمحتاجين والمحبوسين . وكان اجتماعهم في الاخوية الى احتفال الزواج يمهّد لتوثيق روابط الحبّ والاخاء بين الكاثوليك ويتمّم لديهم العبادة نحو يسوع الاقدس والبتول البريئة من دنس الخطيئة الاصلية

وفي السنة ١٨٩٩ دعاهم مرشدهم الاب استانسلاوس شيخو الى حفلة العيد الخمسيني فاجتمع منهم في ١٤ حزيران عدد وافر ضاقت بهم اعظم ردهات الكلية واقيمت الرتب الدينية الجليلة برئاسة سيادة القاصد الرسولي ومُنحت بركة الحبر الاعظم لاعضاء الاخوية بموجب براءة ارسلها لهم قداستهُ في ذلك النهار . ثمّ تبادلوا ابرق صبارات التهاني وقضوا يومهم في الفرح الروحي ذاكرين ما جرى بين يديهم في ذاك نصف القرن من الاعمال المأثورة لخلاص نفوسهم وخير قريبهم معدّدين خصوصاً مبرّات المتنيحين منهم بالربّ وشاكرين للبتول شفاعتها وسوابغ نعمها

وفي وقت الحرب الكرنية خمدت نوعاً حركة الاخويّة برفاة كثيرين من اعضائها لكنها لم تبطل وعادت النار الكامنة تحت الرماد الى نورها بعد فوز الدول المتحالفة ودخول فرنسة في ربوعنا

﴿اخويّة العملة﴾ هي اكبر اخويّات الكليّة . ابتدأ في تأليفها سنة ١٨٦٣ احد رهبانها الاب يوحنا فيروفيش في ديرنا القديم في الحيّ الصيفي لصلاح العملة من حمّالين

وبنّانين وباعة وخدّام اذ رآهم مهملين وهم كما يقول الانجيل المقدّس كالخراف التي لا راعي لها فتحنّن عليهم على مثال سيّده الالهي . فلم يزل يجدّ ويكدّ ويحرّك كل ساكن الى ان جمع البعض منهم واحسن اليهم فكانوا اوساطاً بينهُ وبين زملائهم . وما عتّم ان جمع منهم العشرات ثمّ المئات وسعى الى ارشادهم وجلبهم الى ممارسة فروض الدين فأضحوا مثالاً وقدوة صالحة للعملة حتى أشير اليهم بالبنان

وقد اتّخذ لهم شفيعةً لاخويّتهم البتول امّ الاحزان ليجدوا في اوجاعها سلواناً وتعزيةً في اتعابهم . تفنّن في ايجاد الوسائط لإحراز ثقتهم ولدفعهم الى الحياة الفضلى كالاعياد البهجة والاغاني التقويّة المطربة وتشنيف آذانهم بالادوات الموسيقية وكان يهتمّ باشغالهم ويتوسّط لدى ارباب الامر في شؤونهم ويعود المرضى منهم ويُحسن الى المنكوبين ويُعنى بتربية صغارهم ويمشي مع رجالهِ في جنازة المائتين منهم فكانت هذه ووسائط أخرى مدعاةً الى نجاح تلك الاخوية التي بلغ في بعض الاوقات عدد المشتركين فيها قريباً من الالفين . وقد خلفهُ بعد وفاتهِ سنة ١٨٩٨ رهبان من اخوتهِ تأثّروا آثارهُ وقرّروا عملهُ منهم الاب ادوار ميشال الذي نشرنا ترجمتهُ مؤخّرًا (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٩٨٣–٩٩١) وحضرة الآباء جول كسانتي وابيل ديد ورزق الله ثابت مع بعض افاضل الكهنة من تلامذتنا الاكليريكيين كالخوارنة يوحنا طنّوس وبطرس فرج ويوسف فارس

ولاخوية الام الحزينة مآثر عديدة منها دينيّة كالسجود الليلي في ليلة الجمعة الاولى من الشهر للقربان الاقدس وكاقامة بعض حفلات دينيّة لاكرام جد الربّ ولسيدة الاوجاع شفيعتهم بطوافين جليلين وكنشر العبادة لقلب يسوع وكزيارة سنويّة كانوا يباشرونها الى القدس الشريف والاماكن المقدّسة عند سنوح الاحوال السياسيّة . ومنها خيريّة واجتماعيّة كعيادة المرضى مع مرشدهم وزيارة المحبوسين والاحسان اليهم في بعض فصول السنة وخصوصاً في ايّام الصوم المبارك ليقربوا اليهم ممارسة فرائضهم الفصحيّة وكاهتمامهم بصغار الصنّعة وتعليمهم المبادئ الدينيّة واعدادهم للمناولة الاولى . ومن اخويّتهم تفرّعت جمعيّة الشبّان تحت حماية القديس لويس غونزاغا التي جعلت غايتها هذه الاعمال الخيريّة

ولما كانت السنة ١٩١٣ احتفلت الاخويّة ببيوبيلها الذهبي فتألّف لحضور اجتماعات

العيد اكثر من ألف اخ من المشتركين بها أتوها من أحياء بيروت ومن قرى لبنان فرأوا رأيَ العين ما صارت اليه تلك حبّة الخردل الصغيرة اذ بلغت نموّ الاشجار الباسقة المظلّلة الالوف من طيور السماء في الوطن وفي دار المهجر. وقد خصّصنا وقتئذٍ مقالة واسعة لذكر هذا المشروع الخطير وتاريخ مُنشئهِ ووصف ثمارهِ الجنيّة (في المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٣٢٩ ـ ٣٣٥)

واليوم بعد خمود نيران الحرب التي لم تطفئ تماماً تلك الجمرة المتأججة ترى في كنيسة كليّتنا أيام الاحد عند الظهر المئين من الاخوة يمجّدون الله والعذراء أمهم بتسابيحهم وشواعرهم التقويّة

﴿ اخويّة الشبّان ﴾ أُنشئت السنة ١٨٨٢ لفائدة الشبّان بعد نهاية دروسهم وانضمّ اليهم طلبة الطبّ. وكان منشئ هذهِ الاخويّة الاب المرحوم يوسف زال (J. Zelle) الذي أدّى للناشئة خدماً مشكورة هو وخلفهُ الاب راي (J. - B. Rey) فأعدّا للوطن العزيز رجالاً كانوا له عضداً في المشروعات الوطنيّة وشرفاً بحسن سلوكهم وفضائلهم الاجتماعيّة وقدوةً لامثالهم من الشبّان

﴿ جمعية قلب يسوع للسادة ﴾ هذه الجمعية قد همّ بانشائها حضرة الاب كاتن سنة ١٩١٠ مختصّة بنخبة من الرجال ذوي الفضل السابغ والرغبة في الصلاح حُدّ لها عددٌ لن تتجاوزهُ. وغايتُها اهتمام ذويها بكل ما يؤول الى مجد الله وخير القريب ومناصرة الدين والآداب الصالحة. ولهم ايضاً مجتمعهم الشهري في معبد خاص لممارسة فروضهم الروحية يعقبهُ اجتماع آخر يتفاوضون فيهِ عن كلّ ما من شأنه ان يساعد على النهضة الدينيّة بين العموم ولاسيما بين ذوي الاعتبار والوجاهة ويتّخذون الوسائط لتنفيذ نيّاتهم المقدّسة

﴿ اخوية الميتة الصالحة ﴾ أُنشئت بعد اخويّة الحبل الطاهر باثنتي عشرة سنة (١٨٦١) لتقديس حياة النساء بالعيشة البارّة واعدادهنّ للميتة الصالحة. فألحقت بالاخويّة الامّ في رومية تحت شفاعة القديس يوسف. وقد نمت هذه الاخوية نموّاً عظيماً بهمّة مرشديها الاباء فيلبّوس كوش واستانسلاوس شيخو وسيرافيم سكوتي وهنري شبران وانطون صالحاني الذي لم يزل على إرشادها منذ السنة ١٩٠٥. ويبلغ عددها اليوم الخمسمائة بعد ما أُصيبت في وقت الحرب من الجمود. ولهذه الاخويّة

اجتماعاتها المنظمة في كل اسبوع ورياضاتها السنوية واعيادها الرسمية لاسيما عيد القديس يوسف شفيعها في ١٩ آذار حيث يتجدد تكريس العائلات والاطفال الاحتفالي لحمايته . وفيها تجري الممارسات التقوية في الاشهر الثلثة اليوسفي (في آذار) والمريمي (في أيار) وشهر القلب الاقدس (في حزيران)

وفي السنة ١٩١٢ بلغت الاخوية يوبيلها الذهبي فأقيمت لذكرها اعياد شائقة رأسها سيادة القاصد الرسولي وتشرفت بحضور اساقفة وكثير من جلة الاكليروس ووجوه المدينة

﴿اخوية الصانعات﴾ في بيروت عدد جزيل من الصانعات ومعظمهن من لبنان يقلن من جبلهن وهن غالباً ساذجات القلب طاهرات الذيل وافرات التقى فاذا اختلطن باهل المدينة كثيراً ما يتعرضن لاخطار جسيمة تؤدي بهن الى ما لا تحمد عاقبته وينتهك حمى عفافهن . فهذا ما دفع في ٢٣ آذار السنة ١٩١١ حضرة الاب صالحاني الى انشاء اخوية خاصة بالصانعات ليصون نفوسهن من كل شائبة تمس شرفها ويزيدهن تقى وصلاحاً لخيرهن الشخصي ولفائدة البيوت والعيال التي ترتب في استخدامهن . وقد نالت هذه الاخوية الامارة الرسمية من رومية في ١١ ك ٢ سنة ١٩١٢ بوضعها تحت حماية سيدة الجبل بلا دنس والفديسة ... ة ام والدة الله . فاقبل على الانتظام في سلكها عدد وافر من الصانعات يجتمعن كل خميس لاداء فرائض الاخوية . ولهن ايضاً رياضتهن السنوية ويوم خاص لزيارة بعض معابد البتول في خارج البلد وقد أعربن غير مرة عن كرم نفسهن بعضد المشروعات الدينية والخيرية كمشروع الاشتراك بنشر الايمان المسيحي في البلاد الاجنبية وكمساعدة الفقراء . وقد رأيناهن آخرا قد اكتتبن ليقدمن للشيوخ العجز في دار راهباتهم مأدبة على نفقتهن حضرنها وقمن بخدمته جازاهن الله خيرا

﴿جمعية قلب يسوع للسيدات﴾ أنشئت هذه الجمعية منذ اوائل الكلية بهمة رئيس رسالتنا الطيب الذكر الاب امبروسيوس مرتو تشترك فيها نخبة من سيدات البلد وطنيات واجنبيات . واجتماعهن شهري في يوم الجمعة الاولى من الشهر يحضرن القداس ويواظبن على الاسرار ويصغين الى إرشاد مرشدهن ويختم الاجتماع بمنح بركة القربان والغاية من انشاء هذه الجمعية بث روح الدين والتقى في أسر القوم الشريفة .

وعددهنّ اليوم يقرب من الثمانين ويزيد عددهنّ في رياضتهنّ السنوية

﴿شركة الورديّة المقدّسة﴾ في عهد قصادة الطيب الذكر سيادة المطران شرل دوقال سنة ١٩٠١ أنشئ في كنيسة كليّتنا فرعٌ من شركة الورديّة المقدّسة (Archi-confrérie du S^t Rosaire) فوّض اليه منح كلّ الانعامات والامتيازات الممنوحة من الاحبار الرومانيين لمركز هذه الشركة في رومية . ومذ ذاك الحين تُقام الرُّتب الخاصة والطواف الاحتفالي لاكرام سيّدة الورديّة في الاحد الاوّل من كل شهر وقد بلغ عدد المشتركين بهذه الجمعية عدّة مئات من المؤمنين

٢ المشروعات التهذيبية

كما عُنيت كليّةالقديس يوسف ببثّ روح التقى ورفع منار الدين كذلك جعلت ديدنها نشر الآداب والمشروعات التهذيبيّة

﴿المدارس العمومية للفتيان﴾ لا يحتاج كل الاولاد الى التعمّق في الدروس واحراز العلوم الراقية . وهذا ما دفع كليّة القديس يوسف الى انشاء مدارس مجّانيّة لصغار العامّة ليأخذوا من العلوم ما يكفيهم لحاجاتهم اليوميّة كالقراءة والكتابة ومبادئ اللغتين العربيّة والافرنسيّة واصول الحساب والجغرافية والتاريخ . ففُتحت لهذه الغاية ثلث مدارس في احياء البلدة في رأس بيروت وفي حيّ الدحداح ثمّ في حيّ الغيراط خلفتها مدرسة الرميلة . ثمّ فُتحت مدارس أخرى في خارج المدينة في قراها المجاورة كفرن الشبّاك والشيّاح . وقد بلغ عدد الطالبين في هذه المدارس اللاحقة بالكليّة نحو الثمانمئة فتعمّم التهذيب الديني والعلمي بين الجمهور

﴿مدارس الاناث﴾ قد كانت الارساليّة اليسوعيّة منذ السنة ١٨٥٣ رأت الحاجة الماسّة لتربية فتيات الاناث في انحاء الشام وخصوصاً في لبنان فانشأ اثنان من رهبانها الاب ريمون (سليمان) استاف (R. Estève) والاب بولس ريكادونا (P. Riccadonna) جمعيّتين رهبانيّتين وطنيّتين لسدّ هذا الخلل الواحدة في بكفيّا تحت اسم «المرسلات» لسواحل لبنان وشماله خصوصاً والاخرى في معلّقة زحلة تحت اسم «راهبات قلب يسوع» للبقاع وجهات الشام وقد روينا خلاصة تاريخها واعمالها في المشرق (٢١ [١٩٢٣]: ٦٤١–٦٥٦) بمناسبة يوبيل السنة السبعين لانشائها مع ذكر

العديد البليغ من المدارس التي تولّينَ ادارتها

ثمّ رأى الرؤساء انّ في توحيد الجمعيّتين خيرًا اعظم فتمّ ذلك بعد محنة موقتة وأطلق عليهنّ اسم راهبات قلبي يسوع ومريم فتنظّمت جماعتها واستأنفتا العمل بنشاط جديد . وكان لبيروت نصيبها من همتهنّ لاسيما بعد ان شُيّد حضرة الاب اوغسطين تردي لهنّ ديرًا خاصًّا على مقربة من الكلّية ووضع لهنّ قوانين ورسوماً جرينَ عليها ثم عُرضت على الكرسي الرسولي بعد تحويرها فثبّتها . وقد بلغ عددهنّ اليوم ٢١٤ راهبة منهنّ ٢٠ مبتدئة يسكنّ ٣٩ ديرًا في انحاء سوريّة ولبنان ويهذّبن نيفاً و٥٫٠٠٠ فتاة في ٤٢ مدرسة

﴿التعليم المسيحي﴾ هذا من اخصّ وسائط تهذيب الناشئة وهو ممّا يتفرّد لهُ بعض آباء الكلّية وطلبة الفلسفة واللاهوت الاكليريكيّون في مدارس بيروت وجوارها وفي مآوي العجّز والاحداث وكذلك تلامذة الكلّية الكبار من ابناء الاخويّات يجمعون بعض الايتام والفقراء ويحسنون اليهم ويعلّمونهم الفرائض الدينيّة ويمرّنهم لاعمال الاسرار

٣ المشروعات الخيريّة

ليست هذه من الميزات الخاصّة بالكلّية لانقطاعها الى غير ذلك من الاشغال على انّها لم تتنكّب عن هذا الامر وهي تنشطهُ على قدر استطاعتها .

﴿شركة مار منصور دي بول﴾ معلوم انّ هذه الشركة مستقلّة في اعمالها . على انّ اليسوعيين في بيروت كانوا من اعظم مناصريها فانّ انشاءها في بيروت كان اوّلاً في دير الآباء اليسوعيين القديم بحضور الاب ريمون استاف الذي رأس اوّل حفلاتها الرسميّة في ٧ أيار سنة ١٨٦٠ . ثم توالى اليسوعيون في خدمة اعضائها كالاب هنري دي برونيار والاب فرنسيس بَدُور والاب بولس غرنيه . وكثيرًا ما كان رؤساء الكلية يسعفونها بالحسنات لتقوم بواجباتها كما انّ الآباء كان يقيمون الرتب الدينيّة في اجتماعات الاخوة ويشتركون بتهذيب اولاد الجمعيّة

﴿راهبات العجّز﴾ لمّا احتلّت راهبات العجّز ربوع بيروت اسرع رؤساء الكلّية الى اسعافهنّ ماديًّا وادبيًّا . ولم يزالوا على خطتهم هذه الى اليوم . بل يعوّدون تلامذتهم

على اعمال الرحمة فيقودون البعض منهم في اوقات محدَّدة ليوزّعوا على اولئك البائسين ما جمعوهُ من رفقتهم الدارسين من الحسنات . وفي بعض المواسم يقدّمون لهم الطعام ويخدمونهم على المائدة ويفكّهون ارواحهم بالاغاني والروايات الهزليَّة

﴿خدمة المرضى﴾ في المستشفى الذي انشئ في العام الماضي لحاجات مدرسة الطبّ يقوم الآباء في خدمة المرضى الروحية ويعودونهم مرارًا في الاسبوع ويشاركون الاطبّاء في معاينة الاعلّاء الذين يأتون الى المستوصف هناك ويحاولون علاجهم

﴿خدمة الارمن المهاجرين﴾ لما احتلَّ الارمن ربوع بيروت بعد نكباتهم ونفيهم من بلادهم خصَّص رؤساء الكلية اثنين من رهبانهم لخدمتهم مع احد الكهنة المتخرّجين في مدرستهم الكليَّة . فما ألوا جهدًا في تلطيف اوجاعهم وخدمتهم الدينيَّة فاقاموا لهم معبدًا كبيرًا وفتحوا لاولادهم المدارس وتوسَّطوا لدى ارباب الامر لينالوا الاسعافات والانعامات التي يحتاجون اليها

٦ الرجال ومآثرهم

لم تكن كليَّة القديس يوسف لتقوم بمشاريعها الخطيرة التي سبق ذكرها لولا ما قيَّض الله لها من الرجال ذوي المقدرة والهمّة البعيدة والحزم الثابت . فيسوغ لنا ان نفرد باباً لذكر البعض منهم ولاسيما الذين استأثر بهم الله فأنابهم عن حسن اعمالهم

وقبل كلّ يجب الشكر لذينك الرجلَين الفاضلين اللذين بمساعيهما خرجت الكلية الى عالم الكون اعني بهما الاب امبروسيوس مونو (المتوفّى في ٨ ايلول ١٨٩٨) . والاب كافيه پالّيو († ٨ ك٢ ١٨٨٧) . فكان للاوّل منزلة كبيرة بين اخوته الرهبان فوقع عليه الاختيار مرارًا لمناصب الرهبنة الشريفة وكان الاجانب يجلّونهُ ويعتبرونهُ اعتبارهم لكبار الرجال ويلتمسون رأيهُ في مشاكلهم فيقدّمونهُ على سواهُ . ولمّا خلف في رئاسة رسالتنا السوريَّة العامّة الطيّبَ الذكر الاب كوترله (F.X. Gautrelet) ادرك للحال حاجة الكاثوليك في بلاد الشام الى كليَّة كبيرة واخذ على نفسه تحقيق نيَّته على الرغم من العوائق التي كانت تعترضهُ في سبيله فوقع الامر طبقاً لمرامه بل بلغ حيث لم تبلغ الآمالُ والهمم

اما الاب باليو (Fr. - Xav. Pailloux) فكان في اوّل الامر منقطعاً للاشغال العقليّة والتأليف في الابحاث الدينيّة والاجتماعيّة وكان درس الهندسة واصول فنّ البناء فتفرّد بها. ومن آثاره البديعة كنيسة الآباء اليسوعيين الكبرى في ليون يعدّها ارباب الهندسة كآية في الهندسة الدينيّة. ولهُ تأليف جليل في قطع كبير مزيّن بالرسوم والنقوش البهيّة بحث فيهِ عن هيكل سليمان وسعى بتصويرهِ فاستحسنهُ كثيرون من الاختصاصيين. فهذا هو الراهب الذي انتدبهُ الاب مونو لهندسة كليّة القديس يوسف التي تُعدّ من اجمل ابنية بيروت بواجهتها المهيبة ومعاهدها المختلفة وكأنّهُ اراد قبل كلّ ان يوفّر لها النور والهواء. ويلطّف فيها لفحات الحرّ في فصل القيظ. وقد عُني خصوصاً ببناء الكنيسة التي يأخذ منظرها بالابصار فتراها اهلاً ببيت صلاة يرتفع فيها قلب المؤمن الى الله بالورع والتخشّع دون ان ينشغل عقلهُ بالعرضيّات والزوائل

﴿رؤساء الكليّة﴾ كان اوّل رؤساء لكليّة القديس يوسف الاب اوغستينوس تردي (Aug. Tardy) تعيّن لذلك في ٣٥ ك ٢ ١٨٧٦ فقدم بيروت بعد افتتاح المدرسة بمدة [illegible] وعيّن رئيس الحديد [illegible] في الدرج استقبل حافل حضرهُ التلامذة بفرقتهم الرسمية ونوبتهم الموسيقيّة

ثمّ عُهد برئاسة الكليّة للاب رامي نورمان (R. Normand) سنة ١٨٧٨ الى ١٨٨١. لكنّ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر انتدب في اثناء رئاستهِ رهبانيّتنا الى فتح ارساليّة جديدة في بلاد الارمن فوُكل الى الاب نورمان بان يذهب الى جنوبي اميركا فيعظ ويلقي المحاضرات ويجمع ما امكنهُ من صدقات تلك البلاد لمساعدة هذه الارساليّة. فناب عنهُ في مدّة غيبتهِ لسياسة الكليّة الاب يوسف روز (J. Roze) ثم الاب ادوار سازاني (E. Sâlzani)

وفي ١٧ نيسان ١٨٨١ ترأس على الكليّة الاب هنري ج. (Henri Julien) فدبّرها احسن تدبير ووسّع نواديها ونظّم تعاليمها وبلّغها مقاماً لم تعهدهُ سابقاً

وبعد ثلث سنين عاد الى الرئاسة الاب تردي (٢٩ تموز ١٨٨٤) فوجّه عنايتهُ خصوصاً الى الملحقات بالكلية كمدارس اولاد العامّة ومدارس راهبات قلبي يسوع ومريم ثم انتهى زمن رئاسة الاب تردي فقام بعملهِ في تدبير الكليّة الاب فرنسيس

ترأس (P. F. Terrasse) وذلك في تاريخ ٢٦ ايلول سنة ١٨٨٧ . وفي الوقت عينهِ صار تدبير الارسالية الى يد الاب فيليبار برنارده (Ph. Bernardet) فتضافر كلاهما في تعزيز سائر امور مهمتهما في الكلية والارسالية

وفي السنة ١٨٩٠ في ٢٢ ايلول منها ارتأس على الكلية احد ابناء الوطن المرحوم الاب جبرائيل ادّه فكانت معرفتهُ للبلاد وحسن سياستهِ في تدبير المدرسة ومجاملتهُ لأولي الامر ولعموم الاهل قد حبَّبتهُ الى الجمهور وصرف عنايةً خاصَّة كسلفهِ الاب هنري الى تعزيز تعليم اللغة العربية

وطالت رئاسة الاب ادّه الى ٣ آب سنة ١٨٩٧ حيث ضبط لزمتها حضرة الاب كاتن وكلٌ يعرف ما طُبع عليهِ من سعة الادراك وحسن السياسة وما لهُ من الاعتبار لدى ارباب الدنيا والدين فيذكرون بلسان واحد ايام رئاستهِ بالخير

ثمَّ عُهدت الى حضرتهِ رئاسة الارسالية جمعاء فاستناب لادارة الكلية كنيهما الخاصّ في ٢٧ آب ١٩٠١ الاب لاون كلار (L. Clerc) وفي عهدهِ أُنشئ المكتب الشرقيّ فكان الاب كاتن متولياً لنظارتهِ بصفة كفشايار يساعدهُ في التعليم ستَّة من الآباء . فكان لهذا المشروع موقع حسن لدى محبي الدروس الشرقيَّة فقدم لحضور تعليمها نحو ١٥ من المترشحين لتدريس اللغات الشرقيَّة في كليَّات اوربَّة

في السنة ١٩٠٤ في ٢٥ آب قدم من فرنسة لرئاسة الكليَّة رجلٌ مشبع من العقل وهو خطيب بليغ الاب هنري غريسيان (H. Gressien) وكان متأهباً غيرةً لتقدُّم الكليَّة ماديًّا وادبيًّا . فساسها مدَّة ثلث سنوات بحزم كلّي ومشيئة نافذة لا يعوقها عائق . وكان المذكور مولعاً بالفنون الجميلة يتقن التصوير والهندسة فرأى حاجة الكلية الى معاهد جديدة فلم يزل يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ حتى وجد لهذه الأربة حلًّا واغنى الكليَّة بنوادٍ أفرجت لزمن عن ضيق ابنيتها

ثم أُصيب الاب غريسيان بوجع في عينيهِ اضطرَّهُ الى الرجوع الى فرنسة فقام بعملهِ ثانيةً حضرة الاب كاتن متنزّلًا عن الرئاسة العامّة لحضرة الاب ادوار ڤان دي پوت في ١٣ آب ١٩٠٧ . فدبَّرها بهمتهِ ودرايتهِ المعهودتين الى السنة ١٩١٠ فسُند تدبير الكليَّة في ٢٢ آب منها الى حضرة الاب انطون فوجول(A. Foujols) الذي ساسها بكل حكمة وتفانٍ الى سنة الحرب وهو لم ينثنِ عن خطتهِ المستقيمة مع ما كان

يتوقعهُ من المخاطر القريبة بل لم يُحجم عن فتح المدرسة للسنة الجديدة وسحاب الجوّ يبرق ويرعد سياسةً . على ان الامر كان تُقضي وما لبثت الحكومة ان اعلنت بالحرب للدول المتحالفة ماشيةً مع الدول المركزيّة . فأقفلت الكليّة وتفرّقت عمدتُها

اربع سنوات بكت الكليّة على اصحابها الى ان احتلّ الحلفاء بيروت في اوائل تشرين الاوّل فجاء احد ضبّاط الفرنسيس بغتةً الى باب المدرسة وتقدّم الى المحتلين فيها بالخروج . فخرجوا في صباح ١١ ت ١ وعاد من حضر من اليسوعيين الوطنيّين الى ديرهم وقضوا شهراً في تنظيفهِ من الاقذار وإصلاح ما خرب من ابنيتهِ

وفي يوم عيد الميلاد ١٩١٨ سُررنا بقدوم حضرة الاب شانتور وكان تعيّن كرئيس عام للرسالة السوريّة منذ ١ تشرين الثاني وكان بمجيئهِ حضرة الاب كاتن بصفة رئيس الكليّة فكان حضورهما مدعاةً لفرح الاهلين وحياةً مستجدّة للكليّة بعد موتها . فأسرع كلاهما وأنعشا تلك الروح الجامدة واقبل الاهلون بابنائهم واثقين بحسن تربيتهم كما عهدوهم سابقاً قبل تلك الحرب الضاربة على تعليم الناشئة وتهذيبها

دامت رئاسة الاب كاتن الثالثة الى ٢٨ آذار ١٩٢١ فدُعي الى رئاستهِ السابقة على المكتب الطبي الرسمي . وصارت الكليّة منذ ذاك الحين في عهدة حضرة الاب شانتور وقام مقامهُ في الرئاسة العامّة على الرسالة حضرة الاب ايبل ديد . فوافقت رئاسة الاب شانتور السنة اليوبيليّة . وهو نعم الاتّفاق لما لحضرتهِ من الايادي البيض في خدمة الكليّة منذ اربع سنوات بلطف

﴿مشاهير اليسوعيين﴾ نقصر كلامنا على المتوفّين دون الاحياء . ولا نذكر غير بعض الافراد الذي عرفناهم شخصيًّا فيمكننا ان نشهد لهم بالفضل

واوّل من نحبّ ان ندوّن هنا اسماءهم بعض الذين عطّروا بشذى برارتهم وفضائلهم . منهم الاب بطرس مرتين († ١٨٨٠) صاحب تاريخ لبنان فانّا عرفناهُ سنين طويلة فوجدنا سيرتهُ وتصرّفهُ اشبه بسيرة وتصرّف قدماء النسّاك لا يعرف إلّا الصلاة والشغل — والاب گوترله (Fr. X. Gautrelet) من كبار المتعبدين لقلب يسوع وذو الفضائل السامية التي دوّنها في كتاب واسع احد رهبانهِ . وكتبهُ الروحية تُشعر ايضاً بقداسة نفسهِ (توفي سنة ١٨٨٦) — ومنهم الاب سمعان كورنو (Sim. Corneau) المتوفّى في تمنايل في ٢٤ ك١ ١٩١٠ فانّهُ كان معروفاً عند العموم

بتواضعه العميق ينسى برجل الله والبي المساكين. وكانت القداسة تلوح في كل شخصه واعماله واقواله. ومنهم الاب بطرس سورانيا (P. Soragna) ذو الاصل الشريف والنفس الزكية والفضل العميم. لما انذره الطبيب بقرب وفاته قبّله معدًا ذلك كبشرى عظيمة — ومنهم الاب يوحنا بلو الذي اجمع كل من عرفه من الرهبان اخوته ومن الغرباء بسمو فضله وبساطة قلبه ومواظبته على الشغل وخدمة القريب دون انقطاع على آخر انفاسه († ١٩٠٤) ومنهم ثلاثة اخوة مساعدين كانوا بيننا مثال حيّ للفضائل الرهبانيّة: الاخ انطون طالون († ٢٣ حزيران ١٨٨٨) والاخ فرنسيس مرسيه († ١١ ايلول ١٨٨٩) والاخ ماري الياس († ٩ ايلول ١٩٠١)

وكما امتاز هؤلاء بسمو فضلهم قد برز غيرهم باعمالهم الرسوليّة كالاب يوسف لابورد (٢٠ شباط ١٨٨٤) الذي انشأ رسالة في بلاد بين النهرين في مديات وردّ كثيرين من اليعاقبة بعظاته وعجائبه وقاسى الاضطهاد لاجل غيرته — وكالاب فرنسيس بَدُور (Fr. Badour) الذي طاف لبنان مع السيّد شرل لاڤيجري بعد حوادث سنة ١٨٦٠ لساعدة المنكوبين والعناية باليتامى (٢٠ حزيران ١٨٨٩) — والاب لويس ابوجي (L. Abougit) رسول بكفيّا وكسروان († ١٦ تموز ١٨٩٥) مع الاب ريمون (سليمان) استيف († ١٠ ك١ ١٨٧٣) وكالاب ارسانيوس مرل (Ar. Merle) الذي قضى سنين عديدة في حوران ساعياً الى خلاص الدروز وتربية ناشئتهم († ٩ شباط ١٩١٦) — والاب يوحنا فيروفيش رسول العملة في بيروت († ٤ ايلول ١٨٩٨) — والاب يوسف برنييه (J. Barnier) المرسل الغيور في العكّار وبلاد العلويّين وجهات حمص وطرابلس وله هناك آثار مشهورة من غيرته وصلاحه († ١٠ ت٢ ١٩٠٠) — والاب سيرافيم سكُّوني الذي تنقّل مرشدًا وواعظاً في كلّ انحاء لبنان وبلاد البشارة († ٢٥ آب ١٩١١) وكلّ هؤلاء اشتغلوا مدّة في كليّة القديس يوسف

اما المتازون بعلومهم في هذه الحقبة الحسينيّة فليسوا اقلّ عددًا كما تشهد لهم مؤلفاتهم. فمنهم من خلّفوا التآليف اللاهوتيّة والفلسفيّة كالاب راجيس شامپون (R. Champon) المتوفى في († ٨ ك١ ١٨٨٣. والاب فرنسيس ديجاك (Fr. Desjac-ques) († ١٠ ت١ ١٨٩٠). والاب لاون قنسان († ٣ ك١ ١٨٩٨)

وخلّف غيرهم الآثار التاريخيّة النفيسة كالاب بطرس مرتين صاحب تاريخ لبنان

في عشرة مجلدات ضخمة (لم تُطبع). والاب انطون رباط († ١١ أيار ١٩١٣) جامع الآثار التاريخية للنصرانية في القرون الثلثة السابقة والاب فردريك بوفيه مؤلف تاريخ سورية (طُبع على الحجر) والاب لويس ابوجي كاتب مقالات تاريخية عديدة

ولغيرهم تآليف حسنة في الآثار القديمة والحديثة والاسفار كالاب يوسف ڤان هام († ١٣ آب ١٨٩٩) والاب يوسف لابورد والاب ميشال جوليان († ١ ك ٢ ١٩١١) صاحب التآليف المتعددة في الرياضيات والتاريخ والاسفار والآثار. وكالأب هنري دي فونكلايه (H. de Fonclayer) رفيق الكونت دي شامبورد في زيارة الاراضي المقدسة († ٢٨ حزيران ١٨٩٢)

اما اللغويات والآداب فيشهد على نشاط ارسالياتنا فيها العدد العديد من المطبوعات التي ابرزتها مطبعتنا الكاثوليكية فسبق لنا تعدادها

﴿تلامذة الكلية﴾ منهم من تخرّج في مكاتبها الفنية كالطب والصيدلة والحقوق والهندسة ولهم شهرتهم الخاصة لا نرى حاجة الى ذكرهم هنا. ومنهم من درس في الكلية او مكاتب الشرق او في غيرها العلوم ثم اتموا [illegible] في المكتب الشرقي حرج نحو ٢٠ استاذاً في جامعات اوربة ومدارسها العليا في ايطالية (رومية) والمانية (مونيخ) والنمسة (انسبروك) وهولندة (مانستريخ)

واما العلمية فتضيق الصحائف عن ذكر تلامذتها يكفي ان نشير الى البعض منهم ممن طبّق ذكرهم البلاد فمن الاكليريكيين غبطة السيد عمانويل يوسف توما بطريرك بابل على الكلدان. وستة من السادة رؤساء الاساقفة ثلثة موارنة وثلثة اقباط. وعدة كهنة افاضل ارمن وسريان وقبط وكلدان ولاتين وموارنة. ومن العلمانيين يذكر الجميع بالخير المرحومين الشيخ فريد الخازن والاستاذ نجيب حبيقة وشهيد الدستور الامير محمود ارسلان. واما الافاضل من الاحياء المرتقين فنضرب الصفح بالاسف اختصاراً عن اسمائهم الكريمة مكتفين بذكر صاحب المعالي رئيس الوزارة المصرية احمد باشا زيور وصاحب الفخامة رئيس الدولة السورية صبحي بك بركات. رحم الله المتوفين وجعل الاحياء فخراً وسنداً للوطن والدين